

الثمرات الزكية

من تواضع خير البرية



صلاح عامر قمصان

مقدمة الكتاب

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَعْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ ،
وَمَنْ يَضِلَّ ، فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
(١٠٢) } [آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) } [النساء: ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
(٧١) } [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :



إن خلق التواضع سبيل إلى كل خير للعبد في الدنيا والآخرة ،
 فالمتواضع يرفعه الله تعالى ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "من
 تواضع لله رفعه " ، والتواضع يحمل صاحبه على عدم الفخر ، أو
 البغي على غيره ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ
 أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ
 عَلَى أَحَدٍ " واختص الله كرامة الآخرة وجعلها للذين لا يريدون علواً في
 الأرض ولا فساداً ، لقوله تعالى : {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
 يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)
 {القصص: ٨٣}.

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ :
 الْكِبْرِ ، وَالْعُلُوِّ ، وَالذَّنِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ " .
 وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : " يَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ :
 التَّوَاضُّعُ " وَفِي رِوَايَةٍ حَفِصٌ : " إِنَّكُمْ لَتَدْعُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ : التَّوَاضُّعُ .
 ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ، سيد
 المتواضعين لله ، ومعنا في هذه الرسالة ، بعض من خلق تواضعه
 صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله من اتباعه في الدنيا والآخرة .
 وأسأل الله أن ينفعني بها وإخواني المسلمين في كل مكان .
 أخوكم في الله /صلاح عامر



ما جاء في تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ، قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟، قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. ، قَالَ: "بَلْ عَبْدًا رَسُولًا".^١

تواضعه صلى الله عليه وسلم بالنهي عن مبالغة المدح فيه :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^٢ ، وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ وَقَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ قَالَ: فَاتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: أَنْتَ وَلِيِّنَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَأَنْتَ أَطْوَلُ عَلَيْنَا، قَالَ يُونُسُ: وَأَنْتَ أَطْوَلُ لَنَا عَلَيْنَا طَوْلًا، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلًا، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْعَرَاءُ،

^١ - رواه أحمد (٧١٦٠)، وابن حبان (٦٣٦٥) - وصححه الألباني في "التعليق الرغيب"

(١١٢/٣)، "الصحيحه" (١٠٠٢).

^٢ - البخاري (٣٤٤٥)، وأحمد (١٥٤)، وابن حبان (٦٢٣٩)



فَقَالَ: «قُولُوا قَوْلَكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرَّتْكُمْ الشَّيْطَانُ»، قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ:
«وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ»^٣

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا،
وَخَيْرِنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَيُّهَا
النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي
اللَّهُ " .^٤

مواقف من تواضعه صلى الله عليه وسلم حال عبادته لربه :
من تواضعه صلى الله عليه وسلم سجوده لربه ليلة القدر في ماء
وطين :

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: تَذَاكُرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَأَتَيْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا، فَقُلْتُ: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى النَّحْلِ؟
فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

^٣ - رواه أحمد (١٦٣١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد"

(٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في "الكبرى"، (١٠٠٧٦) وقال شعيب

الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٤٨- صحيح : رواه أحمد في "المسند" (١٢٥٥١) وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط

مسلم، وابن حبان (٦٢٤٠) وصححه الألباني.



وَسَلَّمَ يَذُكُرُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، اعْتَكَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ الْوُسْطَى مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجْنَا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ، فَخَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نَسِيتُهَا - أَوْ أَنْسِيتُهَا -، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ كُلِّ وَتْرٍ، وَإِنِّي أُرِيتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَرْجِعْ» قَالَ: فَارْجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، قَالَ: وَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمُطِرْنَا، حَتَّى سَالَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَارِثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ، قَالَ: حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ .

تواضعه صلى الله عليه وسلم لربه حال حجه :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلِ، رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ، أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةً" .^٦

^٥ - البخاري(٢٠٣٦)، ومسلم ٢١٦ - (١١٦٧)، وأحمد(١١٥٨٠)، وأبو

داود(١٣٨٢)، والنسائي(١٣٥٦).

^٦ - رواه البخاري(١٥١٧)، وابن ماجه(٢٨٩٠) واللفظ له، وابن حبان(٣٧٥٤) وصححه

الألباني.



تواضعه صلى الله عليه وسلم مع صحابته في جهاده يوم بدر :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلِّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُشْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: " مَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ " ٧.

عن عبد الله رضي الله عنه: قوله: ((زميلي)) ((نه)): الزميل العديل الذي حمله مع حمله علي البعير، وقد زاملني عازلي والزميل أيضًا الرفيق. و ((العقبة)) النوبة، ومنه أن كل غازية غزت يعقب بعضها بعضًا. أي يكون الغزو بينهم نونًا. قوله: ((نمشي عنك)) ضمن المشي معنى الاستغناء أي نستغنيك عن المشي يعني نمشي بذلك.

٧ - حسن : رواه أحمد في " المسند " (٣٩٠١) ، وابن حبان (٤٧٣٣) ، والحاكم في " المستدرک " (٢٤٥٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو يعلى في " مسنده " (٥٣٥٩) ، والنسائي في " الكبرى " (٨٧٥٦) ، والبيهقي في " الكبرى " (١٠٣٥٧) وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط .



وفيه إظهار غاية التواضع منه صلوات الله عليه، والمواساة مع الرفقاء والافتقار إلى الله تعالى.^٨

تواضعه صلى الله عليه وسلم لمن جاءه يسأل عن دينه وهو يخطب :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو رِفَاعَةَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنِ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأَتَيْتُ بِكَرْسِيِّ، حَسَبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَفَعَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا " .^٩

من تواضعه صلى الله عليه وسلم عدم الانتقام ممن نال منه :

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

^٨ - "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى ب (الكاشف عن حقائق السنن) (٨/ ٢٦٨٧) للمؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي - ناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) ط. الأولى.

^٩ - مسلم ٦٠ - (٨٧٦)، وأحمد (٢٠٧٥٣)، والنسائي (٥٣٧٧).



وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ
مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".^{١٠}

ما جاء من تواضعه صلى الله عليه وسلم في بيته :

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟، قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي
خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ». ^{١١}
وفي رواية: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ،
وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ".^{١٢}

وفي الحديث دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يكن ملكاً جباراً
متكبراً، فإنه لا يصدر منهم مثل هذه الأفعال بل نبياً مرسلًا متواضعًا
، واقفًا على حد البشرية، خصه الله سبحانه بفضله العظيم، بل كان

^{١٠} - مسلم ٧٩ - (٢٣٢٨)

^{١١} - البخاري(٦٧٦)، وأحمد(٢٤٢٢٦)، والترمذي(٢٤٨٩)

^{١٢} - صحيح : رواه أحمد(٢٥٣٤١) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وابن

حبان(٥٦٧٧) وصححه الألباني



كل ما فعله في الحقيقة تعليمًا وإرشادًا للناس الآداب الكريمة والأخلاق الحميدة - صلى الله عليه وسلم -^{١٣}.

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع نساؤه :

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَى حَتَّى أُسَابِقَكَ" فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسَيْتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَى حَتَّى أُسَابِقَكَ" فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بِتِلْكَ"^{١٤}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبُنَ مَعِي، «فَكَانَ رَسُولُ

^{١٣} - "لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح" تأليف العلامة المحدث عبد الحق الدهلوي

^{١٤} - رواه أحمد (٢٦٢٧٧)، وأبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩)، وابن حبان (٤٦٩١) وصححه الألباني في "الإرواء" (١٥٠٢)، "الآداب" (٢٧٦)، "المشكاة" (٣٢٥١) ..



اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَفَمَعَنَّ مِنْهُ، فَيَسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبَنَّ
مَعِيَ».^{١٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «الْتِمَسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى
خَيْبَرَ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُزِدِّي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلْمَ، فَكُنْتُ
أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ،
وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ» ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ
قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ
صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَليمةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ،
فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرُكِبَ، فسيرنا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا
عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُجْبُنَا وَنُجْبُهُ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى

^{١٥} - البخاري (٦١٣٠)، ومسلم ٨١ - (٢٤٤٠)، وأحمد (٢٤٢٩٨)، وابن حبان (٥٨٦٣).



المَدِينَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمَ
مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ».^{١٦}

الشاهد من الحديث : قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ ، فَتَضَعُ
صَفِيَّهُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرَكَبَ "

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع ضعفاء المسلمين :

وَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُرْجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ
وَيَدْعُو لَهُمْ»^{١٧}

(يزجي) : أي يسوقه ليلحقه بالرفاق. (يردف) : أي جعله ردفه
وأركبه خلفه.

^{١٦} - البخاري(٢٨٩٣).

^{١٧} - رواه أبو داود(٢٦٣٩) وصححه الألباني في " صحيح الجامع" (٤٩٠١)، و" الصحيحة" (٢١٢٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ ، وَيَقِلُّ اللُّغُو ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ ، وَيَقْصُرُ الخُطْبَةَ ، وَلَا يَأْتِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ أَوْ الْمَسْكِينِ ، فَيَقْضِي حَاجَتَهُ »^{١٨}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ - رضي الله عنه - قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَزُورُهُمْ ، وَيَعُودُ مَرَضَاهُمْ ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ " .^{١٩}

وَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَقَالَ: " يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكِّكِ شِدَّتِ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ " فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا .^{٢٠}

^{١٨} - صحيح : رواه النسائي (١٤١٤)، والدارمي (٧٤)، وابن حبان (٦٤٢٣)، و" المشكاة" -

٣٣ (٥٨٣٣) ، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط .

^{١٩} - رواه الحاكم في " المستدرک " (٣٧٣٥) ، والبيهقي في " الشعب " (٩٢٤٦) ، وانظر " صحیح الجامع " (٤٨٧٧) ، و" الصحيحة " (٢١١٢) .

^{٢٠} - مسلم ٧٦ - (٢٣٢٦)، وأحمد في " المسند " (١٤٠٤٦)، وأبو داود (٤٨١٨) .



تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الصبيان :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّه مَرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»
وَقَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ»^{٢١}

وفي رواية: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ"^{٢٢}

وفي رواية: " أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى غِلْمَانٍ
يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ".^{٢٣}

وفي رواية: " مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَلْعَبُ،
فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صَبِيَّانُ».^{٢٤}

وَعَنْ أَنَسِ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ
عَلَى صَبِيَّانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُءُوسَهُمْ».^{٢٥}

^{٢١} - البخاري(٦٢٤٧)

^{٢٢} - مسلم ١٤ - (٢١٦٨)

^{٢٣} - صحيح : رواه أبو داود(٥٢٠٢) وصححه الألباني

^{٢٤} - رواه أحمد (١٢٨٩٦) وحسنه شعيب الأرنؤوط.

^{٢٥} - رواه ابن حبان(٤٥٩) [قال الألباني]: صحيح - "الصحيحة" (١٢٧٨) و

(٢١١٢)، و" صحيح الجامع"(٤٩٤٧).



قال ابن بطلال: في السّلام على الصبيان تدرّيبهم على آداب الشريعة،
وطرح الأكاكبر رداء الكبر، وسلوك التّواضع، ولين الجانب.^{٢٦}
وعن أنس، قال: كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا،
وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ
قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ» نُغَزَّ كَأَن يَلْعَبُ بِهِ، فَزَيْمًا حَضَرَ
الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْصَحُ، ثُمَّ
يَقُومُ وَيَقُومُ خَلْفَهُ فَيَصِلِي بِنَا».^{٢٧}

وعن أبي التّياح، قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه، يقولُ:
إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي
صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ».^{٢٨}

وفي رواية: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَلَاطِفُنَا كَثِيرًا،
حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟».^{٢٩}

^{٢٦} - "مرقاة الصعود" للسيوطي (١٣١٧/٣) ط. الأولى - دار ابن حزم، بيروت - لبنان

^{٢٧} - البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم ٣٠ - (٢١٥٠) وأحمد (١٢٧٥٣).

^{٢٨} - البخاري (٦١٢٩)، ومسلم ٣٠ (٢١٥٠)، وأحمد (١٢٧٥٣)، وأبو

داود (٣٣٣)، والترمذي (٣٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٠)، وابن حبان (٢٣٠٨)

^{٢٩} - رواه أحمد (١٣٩٥٤)



وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِضُهُ، فَقَالَ لَهُ: "هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ".^{٣٠}

من تواضعه صلى الله عليه وسلم مع صحابته :

تواضعه لأصحابه صلى الله عليه وسلم بكرهيته للقيام له :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ " .^{٣١}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: " صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَشْرَ سِنِينَ، وَشِمِمْتُ الْعِطْرَ كُلَّهُ، فَلَمْ أَشَمَّ نَكْهَةً أَطْيَبَ مِنْ نَكْهَتِهِ، وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَامَ مَعَهُ ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْصَرِفُ عَنْهُ ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَنَاولَ يَدَهُ، نَاولَهَا إِيَّاهُ، فَلَمْ يَنْزِعْ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ

^{٣٠} - رواه ابن ماجه (٣٣١٢)، والطبراني في " المعجم الأوسط " (١٢٦٠) وصححه الألباني

في " صحيح الجامع " (٧٠٥٢ - ٢٣٨٣) و" الصحيحة " (١٨٧٦) وشعيب الأرنؤوط.

^{٣١} - رواه أحمد في " المسند " (١٢٣٧٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

مسلم، والبخاري في " الأدب المفرد " (٩٤٦)، والترمذي (٢٧٥٤) وصححه الألباني.



الَّذِي يَنْزِعُ عَنْهُ ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَتَاوَلَ أُذُنُهُ ، نَاوَلَهَا إِيَّاهُ ،
فَلَمْ يَنْزِعْهَا عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا مِنْهُ " ٣٢

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنشَارَ إِلَيَّ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ بِيَدِي ،
فَأَنْطَلَقْنَا... الحديث ٣٣

تواضعه صلى الله عليه وسلم بعبادته للمرضى يمشى حافيا في السياح :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي
سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ ، فَقَالَ: صَالِحٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ ، وَقُمْنَا مَعَهُ ، وَنَحْنُ بِضِعَّةٍ عَشْرَ ، مَا
عَلَيْنَا نِعَالٌ ، وَلَا خِفَافٌ ، وَلَا قَلَانِسٌ ، وَلَا قُمُصٌ ، نَمْشِي فِي تِلْكَ

٣٢ - حسن : الطبقات الكبرى لابن سعد - (١ / ٣٧٨) ، و"المشكاة" (٥٨٢٤) ، وانظر
"صحيح الجامع" ٤٧٨٠ ، ٤٧٩٥ " و"الصحيححة " (٢٤٨٥) و"صحيح موارد الضمان" (١٧٨٧)

٣٣ - مسلم ١٦٩ - (٢٠٥٢)



السِّبَاخِ حَتَّى جِئْتَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ.^{٣٤}

تواضعه صلى الله عليه وسلم مسابقته لأصحابه :

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْمَى: الْعُضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسَبِّقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعُضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».^{٣٥}

تواضعه صلى الله عليه وسلم بمداعبته لأصحابه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا".^{٣٦}

^{٣٤} - مسلم ١٣ - (٩٢٥)

^{٣٥} - البخاري (٦٥٠١)

^{٣٦} - رواه أحمد (٨٤٨١)، والترمذي (١٩٩٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٦٥)



تواضعه صلى الله عليه وسلم في مجلسه ومضعه :

عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِيُّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ أَجَبْتُكَ»، " ٣٧.

وفي حديث عمر رضي الله عنه حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته - : فَأَخَذْتُ ثَوْبِي فَأَخْرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ يَزُقِي عَلَيْهَا بِعَجَلَةٍ، وَعَلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدٌ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَذِنَ لِي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لَيْفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَطًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ

٣٧- البخاري(٦٣)، ومسلم ١٠ - (١٢)، وأحمد(١٢٧١٩)، والترمذي

(٦١٩)، والنسائي(٢٠٩٢)، وابن ماجه(١٤٠٢)



فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى
وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ
لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ»^{٣٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
حَصِيرٍ، فَاتَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ، فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى تَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا؟ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ ، مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ ،
إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا".^{٣٩}

تواضعه صلى الله عليه وسلم في إجابة دعوة المملوك وغيره :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«لَوْ دُعِيَ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ
لَقَبِلْتُ».^{٤٠}

^{٣٨} - البخاري (٤٩١٣).

^{٣٩} - صحيح : رواه أحمد (٣٧٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩) وصححه
الألباني.

^{٤٠} - البخاري (٢٥٦٨)، وأحمد (١٠٢١٢)، وابن حبان (٥٢٩١).



وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي يَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَطْرَ اللَّيْلِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ فَيُجِيبُهُ " .^{٤١}

تواضعه صلى الله عليه وسلم في مأكله :

عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ عَلَى سُكَّرَجَةٍ قَطُّ، وَلَا خُبْزَ لَهُ مَرْقُقٌ قَطُّ، وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ» قِيلَ لِقِتَادَةَ: فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: «عَلَى السُّفْرِ» .^{٤٢}
وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ: «لَا أَكُلُ وَأَنَا مُتَّكِيٌّ» .^{٤٣}

وفي رواية: " أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ مُتَّكِيًّا " .^{٤٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً ، " فَجَثَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ " ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا " .^{٤٥}

^{٤١} - الطبراني في " المعجم الصغير " (٤١)، و " شعب الإيمان " للبيهقي (٧٨٤٣).

^{٤٢} - البخاري (٥٣٨٦)، والترمذي (١٧٨٨)، وأحمد (١٢٣٢٥)، وابن ماجه (٣٢٩٢).

^{٤٣} - البخاري (٥٣٩٩)، وأحمد (١٨٧٥٤)، وأبو داود (٣٧٦٩)، وابن ماجه (٣٢٦٢).

^{٤٤} - رواه الترمذي (١٨٣٠)، وابن حبان (٥٢٤٠) وصححه الألباني.

^{٤٥} - رواه أبو داود (٣٧٧٣)، وابن ماجه (٣٢٦٣)، وانظر " صحيح الجامع " (١٧٤٠)،

و" صحيح الترغيب والترهيب " (٢١٢٢).



وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ".^{٤٦}

وَعَنْ شُعَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «مَا رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مُتَّكِنًا قَطُّ، وَلَا يَطَأُ عَقْبِيهِ رَجُلَانِ».^{٤٧}

قوله: "ولا يَطَأُ عَقْبِيهِ رَجُلَانِ"، قال السندي: أي: لا يمشي رجلان خلفه، فضلاً عن الزيادة، يعني أنه من غاية التواضع لا يتقدم أصحابه في المشي، بل إما أن يمشي خلفهم ويسوق أصحابه، أو يمشي فيهم.

قال الخطابي في "معالم السنن" ٢٤٢/٤ في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: "لا آكل متكئاً": يحسب أكثر العامة أن المتكئ هو المائل المعتمد على أحد شقيه ... وليس معنى الحديث ما ذهبوا إليه، وإنما المتكئ هاهنا هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، وكل من استوى

^{٤٦} - رواه الطبراني في "الكبير" (١٢٤٩٤)، وانظر "صحيح الجامع" (٤٩١٥، ٤٩٤٥) و"الصَّحِيحَةُ" (٢١٢٥).

^{٤٧} - صحيح : رواه أحمد(٦٥٤٩)، وأبو داود(٣٧٧٠)، وابن ماجه(٢٤٤) وصححه الألباني.



قاعداً على وطاء، فهو متكئ ... إلى أن قال: والمعنى أنني إذا أكلت لم أقعد متمكناً على الأوطية والوسائد فعمل من يُريد أن يستكثر من الأطعمة ويتوسع في الألوان، ولكنني آكل عُلقَةً، وأخذ من الطعام بُعْغَةً، فيكون قعودي مستوفراً له.

وقوله: "ولا يطاء عقبه رجلان": قال السندي: أي: لا يطاء الأرض خلفه، أي: لا يمشي رجلان خلفه، يعني أنه من غايته التواضع، لا يتقدم أصحابه في المشي، بل إما أن يمشي خلفهم كما جاء، أو يمشي فيهم، وحاصل الحديث: أنه لم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طريق الملوك والجبابة في الأكل والمشى. والرجلان: بفتح الراء، وضم الجيم، هو المشهور، ويحتمل [الرجلان] بكسر الراء وسكون الجيم، أي: القدمان، والمعنى: لا يمشي خلفه أحد ذو رجلين. والله تعالى أعلم.

قلنا: وقد ورد في تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبار عدة، منها ما قال قدامة بن عبد الله بن عمار رضي الله عنه، فيما سيرد في "المسند" ٣/٣١٤: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم النحر يرمي الجمرة على ناقه له صهباء، لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك. وانظر "فتح الباري" ٩/٥٤١.



وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِحُبْرٍ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ «رَهَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ» وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ
يَقُولُ: «مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعٌ بَرٌّ، وَلَا
صَاعٌ حَبٌّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتَسَعُ نِسْوَةٌ»^{٤٨}

وفيه: ما كان - صلى الله عليه وسلم - من التواضع والزهد في الدنيا
والتقليل منها ، والكرم الذي أفضى به إلى عدم الإدخار، حتى احتاج
إلى رهن درعه ، والصبر على ضيق العيش، والقناعة باليسير.

تواضعه صلى الله عليه وسلم بعدم إتخاذه لبوايين على بابه :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِأَمْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ
عَيِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ
بَوَائِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ
الأولى»^{٤٩}.

^{٤٨} - البخاري(٢٠٦٩)، وأحمد في "المسند"

١٢٣٦٠)، والترمذي(٤٦١٠)، والنسائي(٤٦١٠)، وابن حبان(٦٣٤٩)

^{٤٩} - البخاري(١٢٨٣)، ومسلم ١٥ - (٩٢٦)، وأبو داود(٣١٢٤).



= وقولها: وما تبالي أنت بمصيتي، ولفظ البخاري: إليك عني لم تصب بمصيتي، ولمسلم: ما تبالي بمصيتي، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" المعنى: إذا وقع الثبات في أول شيء يهجم على القلب من مقضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصبة الواردة على القلب.

قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو، وحكى الخطابي عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصيبة، لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره. وقال ابن بطال: أراد أن لا يجتمع عينا مصيبة الهلاك وفقد الأجر.

قال الحافظ: في هذا الحديث من الفوائد، منها ما كان عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب، وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنها أن القاضي لا ينبغي أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس.



ومنها أن الجزع من المنهيات لأمره لها بالتقوى مقرونًا بالصبر. ولأبي يعلى (٦٠٦٧) من حديث أبي هريرة أنها قالت: يا عبد الله إني أنا الحرى الثكلى، ولو كنت مصابًا عذرتني.

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع إخوانه من الأنبياء :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا حَبِيبَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».^{٥٠}

قال النووي في "شرح مسلم" (١٢١/١٥): قال العلماء: إنما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُلتِهِ وَأَبَوْتِهِ، وَإِلَّا فَبَيْنُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنا سيد ولد آدم" ولم يقصد به الافتخار ولا التناول على من تقدّمه، بل قاله بيانًا لما أمر ببيانه وتبليغه، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ولا فخر" لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي

^{٥٠} - مسلم (١٥٠) - (٢٣٦٩)، وأحمد (١٢٨٢٦)، وأبو داود (٤٦٧٢)، الترمذي (٣٣٥٢).



الموتى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِيْ { [البقرة: ٢٦٠]
 وَيَرْحَمَهُ اللَّهُ لَوْطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي
 السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ " .^{٥١}
 وقال أبو سليمان الخطابي فيما نقله عنه البغوي في "شرح السنة"
 ١١٦/١-١١٧: ليس في قوله " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ "
 اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشكِّ
 عنها، يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله عزَّ وجلَّ على
 إحياء الموتى، وإبراهيم أولى بأن لا يشكَّ ولا يرتاب، وقال ذلك على
 سبيل التواضع، والهضم من النفس. وفيه الإعلامُ أن المسألة من قبل
 إبراهيم لم تعرض من جهة شكِّ، لكن من قبل زيادة العلم، فإن العيان
 يُفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يُفيد الاستدلال، وقوله: "ليطمئن
 قلبي" أي: ييقن النظر.

وحكي عن سعيد بن جبير أنه قال: {ولكن ليطمئن قلبي} أي: بالخلة،
 يقول: إني أعلم أنك اتخذتني خليلاً، ومثله عن ابن المبارك.

^{٥١} - البخاري(٣٣٧٢)، ومسلم ٢٣٨ - (١٥١)، وابن ماجه(٤٠٢٦)، وابن

حبان(٦٢٠٨).



ويحكى عن ابن المبارك أيضًا ، في قوله: { وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } { أي: ليرى من أدعوه إليك منزلتي ومكاني منك، فيجيبوني إلى طاعتك.

وقيل: لما نزلت الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هذا القول تواضعًا منه، وتقديرًا لإبراهيم.

وكذلك قوله في يوسف: " وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ "، وصف يوسف بالأناة والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه رسول الملك ففعل المذنب يُعْفَى عنه مع طول لبثه في السجن، بل قال: { ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } { يوسف: ٥٠ } أراد أن يُقيم عليهم الحجة في حبسهم إياه ظلماً، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك على سبيل التواضع، لا أنه كان في الأمر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف، والتواضع لا يصغر كبيرًا، ولا يضع ربيعًا، ولا يبطل لذي حقٍ حقًا، ولكنه يوجب لصاحبه فضلًا، ويكسبه جلالًا وقدرًا.

وقوله سبحانه وتعالى: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ } { يونس: ٩٤ } الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والمراد غيره ممن شك في تنزيل القرآن، كقوله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ }



[الأحزاب: ١] ، وقوله: {وَاسْأَلْ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف: ٤٥] أي: سَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِكَ رَسُولًا مِنْ رُسُلِنَا، يعني أهل الكتاب، الخطاب له، والمراد المشركون.

وقوله: "رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد" أراد به قوله لقومه: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)} [هود: ٨٠] أي: لو كانت لي عشيرة لدفعوكم، ترحم عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - لسهوه في الوقت الذي ضاق صدره، واشتد جزعه بما دهمه من قومه حتى قال: أو آوي إلى ركن شديد، وقد كان يأوي إلى أشد الأركان من الله تعالى.^{٥٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنينٍ، آثر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَناسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْبَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَناسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

^{٥٢} - [الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان] (٩١/٩٠-٩١) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (الطبعة الأولى).



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».^{٥٣}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تُخَيَّرُوا بَيْنَ
الْأَنْبِيَاءِ».^{٥٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَا يَنْبَغِي
لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى " ^{٥٥}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى»^{٥٦}

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى
أَبِيهِ».^{٥٧}

^{٥٣} - البخاري (٣١٥٠)، ومسلم ١٤٠ - (١٠٦٢)، وأحمد (٣٦٠٨)، وابن حبان (٢٩١٧)

^{٥٤} - البخاري (٦٩١٦)، ومسلم ١٦٣ - (٢٣٧٤)

^{٥٥} - البخاري (٣٤١٦)، ومسلم ١٦٦ - (٢٣٧٦)، وأحمد (٩٢٥٥)، وابن حبان

(٦٢٣٨).

^{٥٦} - البخاري (٤٦٠٣)، وأحمد (٣٧٠٣)

^{٥٧} - البخاري (٣٤١٣)، ومسلم ١٦٧ - (٢٣٧٧)، وأحمد (٢١٦٧)، وأبو داود (٤٦٦٩)

، وابن حبان (٦٢٤١).



أي لا تفضلوني عليه، قول قاله على سبيل التواضع أولاً، ثم لردع الأمة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانياً، فإن ذلك يفضي بهم إلى العصبية، فينتهز الشيطان عند ذلك فرصة فيدعوهم إلى الإفراط والتفريط، فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضل حقه، فيقعون في مهواة الغي، ولهذا قال: « لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ » أي لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وآراءكم بل بما أتاكم من الله من البيان، وعلى هذا النحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولا أقول إن أحداً خير من يونس بن متى)) أي: لا أقول من تلقاء نفسي، ولا أفضل أحداً عليه من حيث النبوة والرسالة فإن شأنهما لا يختلف باختلاف الأشخاص، بل يقول: كل من أكرم بالنبوة فإنهم سواء فيما جاءوا به عن الله تعالى وإن اختلفت مراتبهم، وكذلك من أكرم بالرسالة، وإليه وقعت الإشارة بقوله سبحانه: { لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } وإنما خص يونس بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من أمر يونس، وتوليه عن قومه، وضجره عند تثبثهم في الإجابة، وقلة الاحتمال عندهم والاحتفال بهم حين أرادوا التنصل، فقال عز من قائل: { وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } وقال: { وَهُوَ مُلِيمٌ } فلم يأمن صلى الله عليه وسلم أن يخامر بواطن الضعفاء من أمته ما



يعود إلى نقيصة في حقهم، فبأهم أن ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من فضله، وأنه مع ما كان من شأنه كسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي رَحْلِ لَهُ: «لَبَّيْكَ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ» تَوَاضَعًا
٥٨
فِي رَحْلِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"
٥٩

: لفظ (هو) وقع موقع (إياه)، أو (أنا) مبتدأ و (هو) خبره والجملة خبر (أكون)، وإنما ذكر الكلام مبهمًا على سبيل التواضع؛ لأنه قد عُرف جزمًا أن تلك الدرجة له - صلى الله عليه وسلم -.

٥٨ - رواه أحمد في "المسند" (١٣٢٥٨).

٥٩ - مسلم ١١ - (٣٨٤)، وأحمد (٦٥٦٨)، وأبو

داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨) وابن حبان (١٦٩٠).



وهو سيد ولد آدم في الدنيا ويوم القيامة ، وغير ذلك من الفضائل والشمائل ، ويقول: ولا فخر ، تواضعاً لله عز وجل ، فعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " : "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ" .^{٦٠}

وعن أبي سعيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ" ، ... " الحديث^{٦١}

وقال البخاري (ج ٧ ص ١٧٠) بَابُ: حَمَلِ صَاحِبِ الدَّابَّةِ غَيْرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَاحِبُ الدَّابَّةِ أَحَقُّ بِصَدْرِ الدَّابَّةِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ.

وعن بريدة ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ جِمَارٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ازْكَبْ. فَتَأَخَّرَ الرَّجُلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا، أَنْتَ أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِكَ مِنِّي،

^{٦٠} - مسلم ٣ - (٢٢٧٨)، وأحمد (١٠٩٧٢)، وأبو داود (٤٦٧٣).

^{٦١} - صحيح : رواه الترمذي (٣١٤٨) وصححه الألباني .



إِلَّا أَنْ تَجْعَلَهُ لِي". قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ لَكَ. قَالَ: فَرَكِبَ. ٦٢

تواضعه صلى الله عليه وسلم عند دخوله مكة فاتحاً :

عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ جَدِّهِ أَسْلَمَ ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ وَالْمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ الرُّومَ بِالْيَرْمُوكِ ، وَذَكَرَ اهْتِمَامَهُ بِحَرَمِهِمْ وَأَمْرِهِمْ ، وَقَالَ: " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ لَا أَذْرِي فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أَنَا أَمْ فِي آخِرِهَا ، وَلَآنَ لَا تُفْتَحُ قَرْيَةٌ مِنَ الشَّامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَيْعَةً ، قَالَ أَسْلَمُ: فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مِمَّا يَلِي الْبَيْتَةَ بِالْمَدِينَةِ إِذْ أَشْرَفَ مِنْهُ رَكْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَامَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَخْبَرُوهُمْ فَأَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ: أَبَشِّرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، قَالَ أَسْلَمُ: فَأَنْطَلَقْتُ أَسْعَى حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: أَبَشِّرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، فَخَرَّ عُمَرُ سَاجِدًا ، قَالَ الْوَلِيدُ: فَذَكَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ سَجْدَةَ الْفَتْحِ وَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَكَ بِهِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ ، فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ وَالْفَتْحِ بِحَدِيثِ أَثْبَتَ مِنْ هَذَا ، قَالَ الْوَلِيدُ: وَأَقُولُ: إِنَّ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ مِنْ شُكْرِ

٦٢ - صحيح : رواه أحمد(٢٢٩٩٢)، وأبو داود(٢٥٧٢)، و" المشكاة" ٣٩١٨ -

[٢٧]، وابن حبان(٤٧٣٥) وصححه الألباني في " صحيح الجامع" (١٤٧٨)، و" الإرواء

"(الإرواء ٤٨٧).



الإمام [ص: ٢٤٧] بَفَنَحَ اللهُ وَنَصَرَهُ مَا كَانَ مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَعَسَلَهُ وَصَلَاتُهُ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَتَوَاضَعُهُ عِنْدَ دُخُولِهِ مَكَّةَ " ^{٦٣}

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، وَيَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ، قَالُوا: «أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَقَفَ بِذِي طُوًى، وَهُوَ مُعْتَجِرٌ بِرِدِّ حَبْرَةَ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ خِيُولُهُ، وَرَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ تَوَاضَعَ لِلَّهِ حَتَّى إِنَّ عُنُقُونَهُ لَتَمَسَّ وَاسِطَةَ رَحْلِهِ» ^{٦٤}

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَبْعَثُ إِلَى الْمَطَاهِرِ، فَيُؤْتَى بِالْمَاءِ فَيَشْرِبُهُ، يَرْجُو بَرَكَهَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ " ^{٦٥}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا صَلَّى الْعِدَاةَ جَاءَ حَدْمُ الْمَدِينَةِ بِأَيْتِهِمْ فِيهَا

^{٦٣} - "تعظيم قدر الصلاة" للمروزي (٢٣٣)

^{٦٤} - "الزهد والرقائق لابن المبارك" (٥٣/٢) ط. دار الكتب العلمية - بيروت .

^{٦٥} - المطاهر: جمع مطهرة: كل إناء يُتَطَهَّرُ منه؛ كالإبريق، والسطل، والركوة وغيرها، كما في الوسيط.

(٢) حسن: رواد الطبراني في "الأوسط" (٧٩٤)، والبيهقي في "الشعب" (٢٧٩١)،

و"صحيح الجامع" (٤٨٩٤)، و"الصحيح" (٢١١٨).



الماء، فَمَا يُؤْتِي يَأْنَاءِ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرَبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الْعَدَاةِ
الْبَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا " ٦٦ .

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وإخوانه الأنبياء برعاية الغنم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ
الطَّهْرَانِ، وَنَحْنُ نَجْنِي الْكَبَاثَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ"، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ رَعَيْتَ الْغَنَمَ،
قَالَ: "نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَّ رَعَاهَا" ٦٧

زاد النسائي: "ولقد بعث موسى وهو يرعى الغنم"، وبه يظهر مطابقة
الحديث للترجمة، والحكمة في رعاية الأنبياء الغنم أن يأخذوا أنفسهم
بالتواضع وينتفعوا بالخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم،
والإشارة إلى أن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين.
وقوله: (وهل من نبي إلا رعاها؟) ظاهر العبارة يفهم أن كل نبي
رعاها، وقيل: أراد به أن الله تعالى لم يضع النبوة إلا في أهل التواضع
لا في أبناء الدنيا وملوكهم، وفي رعي الغنم العلم بسياسة الرعاية
والشفقة على ضعفاءهم. والله أعلم.

٦٦ - مسلم ٧٤ - (٢٣٢٤)، وأحمد (١٢٤٠١).

٦٧ - البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم ١٦٣ - (٢٠٥٠)، وأحمد (١٤٤٩٧)، وابن

حبان (٥١٢١).



تواضعه في ملبسه صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا عَلِيًّا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَكِسَاءً مِنَ الَّتِي يُسْمُونَهَا الْمَلْبَدَةَ، قَالَ: "فَأَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ"^{٦٨}.
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ يَسْتَجِبُونَ أَنْ يَلْبَسُوا الصُّوفَ، وَيَحْتَلِبُوا الْغَنَمَ، وَيَرْكَبُوا الْحُمْرَ».^{٦٩}

تواضعه صلى الله عليه وسلم في دعائه لربه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "فِي سُجُودِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ"^{٧٠}.

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي

^{٦٨} - البخاري (٣١٠٨)، ومسلم ٣٤ - (٢٠٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢٤٩٩٧)، وأبو

داود (٤٠٣٦)، والترمذي (١٧٣٣)، وابن ماجه (٣٥٥١)، وابن حبان (٦٦٢٣).

^{٦٩} - رواه الحاكم في "المستدرک" (٧٣٨٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَمَنْ يَخْرُجَاهُ [التعليق - من تلخيص الذهبي] - على شرط البخاري ومسلم، و"شعب الإيمان" للبيهقي (٥٧٤٦).

^{٧٠} - مسلم ٢١٦ - (٤٨٣)، وأبو داود (٨٧٨)، وابن حبان (١٩٣١)



وَجَهَلِي وَهَزَلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».^{٧١}

وصدور هذا الدعاء من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جاء على
سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه، لما علم أنه قد غفر
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصوم من الخطايا والسيئات
صلوات الله وسلامه عليه.

وقد يرد مثل هذا الأسلوب لإرشاد أمته، وتعليم الناس أنهم
محتاجون لعفو ربه ومغفرته، مهما كانت أعمالهم الصالحة، ومنازلهم
العالية.^{٧٢}

وأقول: " وأيضاً المخاطب به غيره صلى الله عليه وسلم، ولتبليغه
صلى الله عليه وسلم لشرع ربه .

تم بحمد الله وتوفيقه
الباحث في القرآن والسنة
أخوكم في الله / صلاح عامر

^{٧١} - البخاري(٦٣٩٨)

^{٧٢} - فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»

